273934 ـ وصفت الأحاديث لون عيسى عليه السلام بالحمرة والأدمة، فما الراجح؟

السؤال

بخصوص الحديث الذي رواه أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في ليلة الإسراء ، فقال : (أما إبراهيم ، فلم أر رجلا أشبه قط بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس ، تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي... فَأُتِيتُ بِثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ قَدَحٌ فِيهِ لَبَنٌ، وَقَدَحٌ فِيهِ عَسَلٌ، وَقَدَحٌ فِيهِ خَمْرٌ، فَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ فَشَرِبْتُ، فَقِيلَ لِي : أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ) . والحديث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أراني الليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلاً آدم ، كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال ، له لمّة كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد رجلها فهي تقطر ماء ، متكئا على رجلين ، أو على عواتق رجلين يطوف بالكعبة ، فسألت من هذا ؟ قيل : هذا المسيح ابن مريم) البخاري (الحديث رقم 3185) أيّ هذين الحديثين صحيحٌ ؛ لأنه يوجد بينهما تناقضٌ بخصوص لون بشرة عيسى عليه السلام ؟

ملخص الإجابة

ملخص الجواب :

وصف الأدمة والحمرة كلاهما ثابت لعيسى عليه السلام، وهذا يشير إلى أنّ لونه مائل إليهما وليس هو خالص الأدمة ، ولا خالص الحمرة.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا:

ثبت في وصف عيسى عليه السلام أنه (آدم) :

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً ـ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً ـ .

قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ .

ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ .

قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ) .

رواه البخاري (3441) ومسلم (171) .

ورواه البخاري (3440) بلفظ :

(وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فِي المَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.

ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المَسِيحُ الدَّجَّالُ) .

والأُدْمة: هي السمرة.

قال ابن سيده في " المحكم" (9 / 389):

" والأدمة في الإبل: لون مشرب سوادا أو بياضا، وقيل: هو البياض الواضح، وهي في الظباء: لون مشرب بياضا، وفي الإنسان: السمرة " انتهى.

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى:

" والأدمة في الإبل: البياض مع سواد المقلتين ... وهي في الناس السمرة الشديدة " انتهى. "النهاية في غريب الحديث" (1 / 32).

وورد في حديث الإسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف عيسى عليه السلام بأنه أحمر اللون:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَى: وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ .

وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ـ يَعْنِي حَمَّامًا ـ ... " رواه البخاري (3394) ومسلم (168).

وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى، فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ) رواه البخاري (3438).

فالوصفان ثابتان في حديثين متفق على صحتهما.

والواجب عندما يظهر لنا وجود إشكال بين حديثين صحيحين؛ هو أن نحاول أن نجمع بينهما بوجه صحيح، ما أمكن ذلك.

قال الشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

" والمقرر في علم الأصول وعلم الحديث أنه إذا أمكن الجمع بين الحديثين : وجب الجمع بينهما إجماعا، ولا يرد غير الأقوى منهما بالأقوى؛ لأنهما صادقان، وليسا بمتعارضين، وإنما أجمع أهل العلم على وجوب الجمع بين الدليلين إن أمكن؛ لأن إعمال الدليلين معا أولى من إلغاء أحدهما كما لا يخفى " انتهى. "أضواء البيان" (5 / 161).

ثانيا :

وجه الجمع بين هذين الحديثين؛ هو أنْ يقال – والله أعلم ـ أنّ عيسى عليه السلام وُصِف بالأدمة وبالحمرة؛ لأن لون بشرته بينهما ويميل إليهما.

قال النووي رحمه الله تعالى:

" فيجوز أن يُتأول الأحمر على الآدم ، ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة ، بل ما قاربها . والله أعلم " انتهى. "شرح صحيح مسلم" (2 / 233).

وهذا الجمع يتقوى بأمور:

الأمر الأول:

عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الخَلْقِ ، إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ) رواه البخاري (3239) و مسلم (165).

فالحديث نص على أن عيسى عليه السلام (إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ): أي يميل إلى الحمرة والبياض.

قال الملا علي القاري رحمه الله تعالى:

" وقوله: (إلى الحمرة والبياض)، حال أي: مائلا لونه إليهما، فلم يكن شديد الحمرة والبياض " انتهى. "مرقاة المفاتيح" (9 / 700).

وهذا يشير إلى أن لونه الغالب ليس الحمرة والبياض، فيكون هو الأدمة والسمرة التي جاءت في الأحاديث الأخرى، فهو أسمر لكن يميل إلى البياض والحمرة ولا يميل إلى شدة السمرة والسواد.

الأمر الثاني:

أن لون عيسى عليه السلام ذكر في كل حديث في مقابلة لون آخر.

ففي حديث المنام ذكر أن عيسى لونه آدم، في مقابلة الدجال الذي لونه أحمر.

(فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً ـ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً ـ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ ...).

وأما في حديث الإسراء، فوصف بالحمرة في مقابلة الأدمة التي في موسى عليه السلام.

(فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى، فَآدَمُ جَسِيمٌ).

وهذا يشير إلى أن لون عيسى عليه السلام بين الأدمة والحمرة ، ويميل إليهما، وغلّب في كل حديث اللون الذي يميّز عيسى عليه السلام عمّن ذكر معه.

الأمر الثالث:

ورد في حديث أبي هريرة السابق : (وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ـ يَعْنِي حَمَّامًا ـ).

فيحتمل أن تكون الصفة التي من أجلها وصف بالحمرة ، أنه شبّه بالخارج من الحمّام .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

" وقوله: فى صفة عيسى من رواية ابن عمر: " آدَم " ومن رواية غيره: " أحمر " وقد تقدَّم. وقد يحتجُّ لكونه أحمر بقوله: " كأنما خَرج من ديماس " يعنى لحُمرته ... " انتهى. "اكمال المعلم" (1 / 520).

والشخص الأسمر ، الذي ليس بالشديد السمرة : تظهر فيه حمرة السخونة ، فور خروجه من الحمام.

الأمر الرابع:

أُدْمة عيسى عليه السلام وصفت بأنها أحسن ما تكون، كما في حديث ابن عمر الذي سبق ذكره: (فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ

بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

وهذا يدل على أن الأدمة هنا حسنة ، لعدم شدتها ؛ وعلى ذلك : فسمرته ليست بالشديدة بل تميل إلى البياض والحمرة.

والخلاصة:

أن وصف الأدمة والحمرة كلاهما ثابت لعيسى عليه السلام، وهذا يشير إلى أنّ لونه مائل إليهما وليس هو خالص الأدمة ، ولا خالص الحمرة.

والله أعلم.